سلسلة نُبَذ (٢٥)

عظات روحية

شباب ناجح

بقلم

قداسة البابا شنوده الثالث

الطبعة الثانية

٢٠٢٤م

قداسة البابا تواضروس الثاني

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ١١٨

قداسة البابا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ ١١٧

أمثلة من شباب ناجح من الكتاب المقدس ومن تاريخ الكنيسة *

✞ مقدمة...

للشباب مكانته على اعتبار أنه زهرة العمر، وفترة القوة والنشاط. حتى أن كبير السن الذي يعيد له الله قوته، يقال له في المزمور إن الله: "يُشْبِعُ بِالْخَيْرِ عُمْرَكِ فَيَتَجَدَّدُ مِثْلَ النَّسْرِ شَبَابُكِ" (مز١٠٣: ٥). وأيضًا الشباب هو فترة الحماس وسرعة الحركة، وبخاصة إذا اشتعلت الغيرة في القلب. بعكس كبار السن الذين يتميزون بالتروي، والبطء في التصرف، والتأني في التفكير.

ومع أن الكتاب ذكر لنا شيوخًا قديسين، إلا أنه ذكر لنا أيضًا قديسين من الشباب، كانوا ناجحين في حياتهم.

أبونا نوح كان شيخًا. وكذلك كان أبو الآباء إبراهيم، وأيوب الصديق، وسمعان الشيخ. وبطرس الرسول أيضًا كان شيخًا.

---

* عظة لقداسة البابا شنوده الثالث، ألقاها في المؤتمر الذي نظمته كنيسة مار جرجس اسبورتنج للشباب، بتاريخ ٦ يوليو٢٠٠١م.

إلا أن موضوعنا الآن عن الشباب. وسنبدأ بشباب من الكتاب المقدس...

✞ يوسف الصديق

كان شابًا ناجحًا. والسرّ في ذلك أن الرَّب كان معه وقيل عنه في الكتاب: "أَنَّ الرَّبَّ مَعَهُ وَأَنَّ كُلَّ مَا يَصْنَعُ كَانَ الرَّبُّ يُنْجِحُهُ بِيَدِهِ" (تك٣٩: ٢، ٣).

كان متواضعًا. وورد في بستان الرهبان أن أحد الشيوخ سأل راهبًا "مَن الذي باع يوسف؟" فأجاب: "إخوته". فقال الشيخ: "كلا، بل الذي باعه هو تواضعه. لأنه لو قال وقت بيعه أنه أخاهم، ما تم ذلك البيع". لكنه سكت، وأخذ شكل العبد...

ومن أبرز نواحي نجاحه، أنه نجح في امتحان العفة...

إنه لم يسع إلى الخطية، بل الخطية هي التي سعت إليه... بل ألحت عليه وضغطت. ولكنه تسامى عليها ورفض، حتى أدى به الأمر إلى إلقائه في السجن ظلمًا (تك٣٩).

وكما نجح في العفة والتواضع، **نجح أيضًا في عدم انتقامه لنفسه...**

إخوته الذين ألقوه في البئر ثم باعوه، وقعوا في يديه أثناء

المجاعة. وكان بإمكانه أن ينتقم منهم. ولكنه على العكس أكرمهم، وأسكنهم في أرض جاسان، وعالهم. ولما بكوا أمامه بعد موت أبيهم ظانين أنه سيرد عليهم الشر الذي صنعوه به، طمأنهم وقال لهم: "لاَ تَخَافُوا. لأَنَّهُ هَلْ أَنَا مَكَانَ اللهِ؟ أَنْتُمْ قَصَدْتُمْ لِي شَرًّا أَمَّا اللهُ فَقَصَدَ بِهِ خَيْرا... لاَ تَخَافُوا. أَنَا أَعُولُكُمْ وَأَوْلاَدَكُمْ" (تك٥٠: ١٩-٢١).

وكما كان يوسف ناجحًا في خُلقه، كان ناجحًا في عمله.

كان ناجحًا كعبد في بيت فوطيفار، حتى أن سيده ترك كل شيء بين يديه ووكله على كل بيته (تك٣٩: ٥، ٦).

وكان ناجحًا كسجين، حتى أن "دَفَعَ رَئِيسُ بَيْتِ السِّجْنِ إِلَى يَدِ يُوسُفَ جَمِيعَ الأَسْرَى الَّذِينَ فِي بَيْتِ السِّجْنِ. وَكُلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ هُنَاكَ... وَلَمْ يَكُنْ رَئِيسُ بَيْتِ السِّجْنِ يَنْظُرُ شَيْئًا الْبَتَّةَ مِمَّا فِي يَدِهِ" (تك٣٩: ٢٢، ٢٣).

وكان ناجحًا أيضًا وسط زملائه في السجن، حتى كانوا يكشفون له أفكارهم، ويخبرونه بأحلامهم حتى يفسرها لهم (تك٤٠).

وكان ناجحًا في علاقته بفرعون.

فنجح في تفسير حلمي فرعون. و"قَالَ فِرْعَوْنُ لِعَبِيدِهِ هَلْ نَجِدُ

مِثْلَ هَذَا رَجُلًا فِيهِ رُوحُ اللهِ؟". ودفع فرعون كل ما في المملكة إلى يد يوسف. وقال له: "قَدْ جَعَلْتُكَ عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ" وخلع فرعون خاتمه من يده، وجعله في يد يوسف وقال له: "بِدُونِكَ لاَ يَرْفَعُ إِنْسَانٌ يَدَهُ وَلاَ رِجْلَهُ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْر" (تك٤١: ٣٨-٤٤).

وكان يوسف أنجح وزير تموين عرفته مصر...

نجح في إنقاذه مصر وكل البلاد المحيطة طول أيام المجاعة التي امتدت سبع سنوات، وأمكنه أن يُخزّن في أيام الشبع ما يكفي جميع الناس في أيام الجوع. وكان حكيمًا في التوزيع.

☆★☆

✞ داود النبي..

إن كان يوسف قد اتصف بالعفة والتواضع والحكمة...

فإن داود – كشاب – اتصف بالشجاعة والإيمان...

ولنضرب لذلك مثلين: أحدهما في رعي الغنم. والثاني أمام جليات. وقصة شجاعته في حماية غنمه، ذكرها لشاول الملك فقال: "كَانَ عَبْدُكَ يَرْعَى لأَبِيهِ غَنَمًا، فَجَاءَ أَسَدٌ مَعَ دُبٍّ وَأَخَذَ شَاةً مِنَ الْقَطِيعِ. فَخَرَجْتُ وَرَاءَهُ وَقَتَلْتُهُ وَأَنْقَذْتُهَا مِنْ فَمِهِ. وَلَمَّا قَامَ عَلَيَّ

أَمْسَكْتُهُ مِنْ ذَقْنِهِ وَضَرَبْتُهُ فَقَتَلْتُهُ. قَتَلَ عَبْدُكَ الأَسَدَ وَالدُّبَّ جَمِيعًا" (١صم١٧: ٣٤-٣٦).

أي شاب يستطيع أن يفعل هكذا؟! يدخل في صراع مع أسد ودب ويقتلهما، بدلًا من أن يهرب لحياته؟!

أما شجاعته في مقاتلة جليات، فكانت في مواجهته لذلك الجبار الذي خاف منه الجيش كله. بينما قال داود للملك: "لاَ يَسْقُطْ قَلْبُ أَحَدٍ بِسَبَبِهِ" (١صم١٧: ٣٢). وخرج الفتى داود بمقلاعه وحصاه، ليقابل ذلك الجبار في جسمه وأسلحته، ويقول له: "الْيَوْمَ يَحْبِسُكَ الرَّبُّ فِي يَدِي"، "أَنْتَ تَأْتِي إِلَيَّ بِسَيْفٍ وَبِرُمْحٍ وَبِتُرْسٍ. وَأَنَا آتِي إِلَيْكَ بِاسْمِ رَبِّ الْجُنُودِ" (١صم١٧: ٤٦، ٤٥). **ونجح داود في أن يغلب جليات.**

حقًا ما قاله أحد رجال شاول الملك عن داود إنه: "جَبَّارُ بَأْسٍ وَرَجُلُ حَرْبٍ وَفَصِيحٌ... وَالرَّبُّ مَعَهُ" (١صم١٦: ١٨).

كان داود ناجحًا أيضًا كموسيقي وشاعر...

كان "يُحْسِنُ الضَّرْبَ بِالْعُودِ" ويعزف على المزمار والقيثار والعشرة أوتار. وقد ترك لنا مجموعة كبيرة من المزامير من تأليفه وإنشاده.

ولما صار داود ملكًا، نجح في عدم انتقامه لنفسه...

بل ضبط نفسه، ورثى شاول برثاء مؤثر قال عنه فيه: "أَخَفُّ مِنَ النُّسُورِ وَأَشَدُّ مِنَ الأُسُودِ" (٢صم١: ٢٣) ولم ينتقم داود من عائلة شاول الذي أذله من قبل، وطارده من برية إلى برية. بل أحسن إلى نسله. وجاء وقت قال فيه داود: "هَلْ يُوجَدُ بَعْدُ أَحَدٌ قَدْ بَقِيَ مِنْ بَيْتِ شَاوُلَ فَأَصْنَعَ مَعَهُ مَعْرُوفًا مِنْ أَجْلِ يُونَاثَانَ؟" (٢صم٩: ١).

المرة التي أراد فيها داود أن ينتقم لنفسه (من نابال الكرملي)، أرسل له الرب أبيجايل فوبّخته وضبط نفسه وقال لها: "مُبَارَكٌ عَقْلُكِ" (١صم٢٥: ٣٣).

☆★☆

✝ سيلمان الحيكم...

كان صغير السن عندما صار ملكًا. حتى أن أباه داود أعدّ له كل لوازم بناء الهيكل "وَقَالَ دَاوُدُ: إِنَّ سُلَيْمَانَ ابْنِي صَغِيرٌ وَغَضٌّ... فَأَنَا أُهَيِّئُ لَهُ" (١أي٢٢: ٥).

وتميز الملك الشاب سليمان بالحكمة التي أخذها من الله مباشرة...

وكان لما قال له الله: "اسْـــأَلْ مَاذَا أُعْطِيكَ" (١مل٣: ٥)، أنه أجاب: "أَيُّهَا الرَّبُّ إِلَهِي، أَنْتَ مَلَّكْتَ عَبْدَكَ مَكَانَ دَاوُدَ أَبِي، وَأَنَا فَتىً صَـــغِيرٌ لاَ أَعْلَمُ الْخُرُوجَ وَالدُّخُولَ... فَأَعْطِ عَبْدَكَ قَلْبًا فَهِيمًا لأَحْكُمَ عَلَى شَـعْبِكَ وَأُمَيِّزَ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّـرِّ، فَحَسُـنَ الْكَلاَمُ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ فَقَالَ لَهُ الله: مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ قَدْ سَـــأَلْتَ هَذَا الأَمْرَ وَلَمْ تَسْـأَلْ لِنَفْسِـكَ أَيَّامًا كَثِيرَةً وَلاَ سَـأَلْتَ لِنَفْسِـكَ غِنًى وَلاَ سَـأَلْتَ أَنْفُسَ أَعْـدَائِـكَ... هُوَذَا أَعْطَيْتُكَ قَلْبًا حَكِيمًـا وَمُمَيِّزًا حَتَّى إِنَّـهُ لَمْ يَكُنْ مِثْلُكَ قَبْلَكَ وَلاَ يَقُومُ بَعْدَكَ نَظِيرُكَ" (١مل٣: ٧-١٢).

وشرح سفر الملوك الأول أمثلة كثيرة لحكمة سليمان..

"وَفَاقَتْ حِكْمَةُ سُلَيْمَانَ حِكْمَةَ جَمِيعِ بَنِي الْمَشْرِقِ" (١مل٤: ٣٠). وجاءت ملكة سبأ من أقاصي الأرض لتسمع حكمة سليمان.

نجح ســليمان في تدبير أمور المملكة. وخلصـــها بكل حزم من الأشخاص المتعبين الذين لم يقوّ عليهم والده في شيخوخته...

ومن أمثلة هؤلاء يوآب بن صــروية رئيس الجيش، وشــمعي بن جيرا البنياميني الذي سبق وسبَّ داود أباه، وطرد أبياثار الكاهن عن أن يكهن للرب (١مل٢، ٣). وإلى جوار حزم ســـليمان هذا نرى له موهبة أخرى وهي قول الكتاب عنه:

"وَأَعْطَى الله سُـلَيْمَانَ حِكْمَةً وَفَهْمًا كَثِيرًا جِدًّا وَرَحْبَةَ قَلْبٍ كَالرَّمْلِ الَّذِي عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ" (١مل٤: ٢٩).

نجح سـليمان في بناء الهيكل وفي تدشـينه (١مل٨)، وفي عمل كل أوانيه ولوازمه على أيدي المتخصصين (١مل٧).

ونجح في كتابة العديد من الأمثال، والأسـفار الإلهية بوحي من الله.. وإن كان سـليمان قد أخطأ في شـيخوخته بسـبب نسـائه اللائي أملنَ قلبه بعيدًا عن الله (١مل١١: ٤). إلا أنه عندما كان شابًا كان شابًا ناجحًا.

☆★☆

✞ يوحنا المعمدان...

كان شابًا ناجحًا لما بدأ خدمته وعمره ٣٠ سنة، وكان ناجحًا جدًا... نجح في أن يمهد الطريق أمام المسيح بمعمودية التوبة.

"حِينَئِذٍ خَرَجَ إِلَيْهِ أُورُشَلِيمُ وَكُلُّ الْيَهُودِيَّةِ وَجَمِيعُ الْكُورَةِ الْمُحِيطَةِ بِالأُرْدُنّ. وَاعْتَمَدُوا مِنْهُ فِي الأُرْدُنِّ مُعْتَرِفِينَ بِخَطَايَاهُمْ" (مت٣: ٥، ٦).

وعلى الرغم من نجاحه الكبير وثقة الشعب به، نجح في مجال التواضع. فكان يخفي نفسه ليظهر المسيح...

نجح في عبارة "لَسْتُ أَنَا" (يو٣:٢٨) "الَّذِي يَأْتِي بَعْدِي... كَانَ قَبْلِي" (يو١:١٥) "الَّذِي لَسْتُ أَهْلاً أَنْ أَحْمِلَ حِذَاءَهُ" (مت٣: ١١). "يَنْبَغِي أَنَّ ذَلِكَ يَزِيدُ وَأَنِّي أَنَا أَنْقُصُ" (يو٣: ٣٠).

ونجح في مجال الشجاعة، وفي تبكيت المخطئين...

وبّخ الكتبة والفريسيين وقال لهم: "مَنْ أَرَاكُمْ أَنْ تَهْرُبُوا مِنَ الْغَضَبِ الآتِي؟ قَدْ وُضِعَتِ الْفَأْسُ عَلَى أَصْلِ الشَّجَرِ فَكُلُّ شَجَرَةٍ لاَ تَصْنَعُ ثَمَرًا جَيِّدًا تُقْطَعُ وَتُلْقَى فِي النَّارِ" (مت٣: ٧، ١٠). ووبّخ الملك هيرودس وقال له: "لاَ يَحِلُّ أَنْ تَكُونَ لَكَ" وهي "امْرَأَةِ فِيلُبُّسَ أَخِيهِ" (مت١٤: ٣، ٤). ونجح في أن ينال إكليل الشهادة ثمنًا لشجاعته... وقيل عنه إنه ملاك (مر١: ٢). وقال عنه السيد المسيح: "لَمْ يَقُمْ بَيْنَ الْمَوْلُودِينَ مِنَ النِّسَاءِ أَعْظَمُ مِنْ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ" (مت١١:١١). وقال عنه أنه: "أَفْضَلَ مِنْ نَبِيّ" (مت١١: ٩). ونجح في حياته الروحية. لأنه من بطن أمه امتلأ من الروح القدس (لو١: ١٥).

✞ مار مرقس...

كان شابًا وقت صلب المسيح. وكان قويًا وناجحًا. إنه الرسول الذي وصل إلينا الإيمان على يديه. كان ناجحًا في كرازته في

مصر على الرغم من العوائق الكثيرة، وعلى الرغم من عمله فيها بدون إمكانيات. دخل مصـــر بحذاء ممزّق، بدون أيّة إمكانيات مادية "لا ذهب، ولا فضة". ولم تكن له فيها كنيسة ولا شعب.

وكانت في مصـــر العبادات الفرعونية الكثيرة تحت قيادة (رع) كبير الآلهـة. والعبـادات اليونـانيـة تحـت قيـادة زيوس منـذ فتح الإســـكندر لمصـــر في القرن الرابع قبل الميلاد. والعبادات الرومانية تحت قيادة جوبتر منذ خضـوع مصـر للحكم الروماني في موقعة أكتيوم سنة ٣١ قبل الميلاد.

وكانت في مصـــر الديانة اليهودية أيضًـــا: اثنان من أحياء الإسكندرية كان يسكنهما اليهود.. كما كانت ديانات أخرى وافدة من بلاد الشرق. وكانت هناك مدرسة الإسكندرية الفلسفية تنشر العبادة الوثنية أيضًـــا. بالإضـــافة إلى كل هذا، ســـلطة الحكام الرومان بكل عنفهم. **ونشـر مار مرقس الإيمان المسـيحي بكل قوة، حتى تحوّلت مصـــر كلها إلى المســـيحية. واســـتطاع أن يؤسس مدرسة الإسكندرية اللاهوتية التي وقفت ضد المدرسة الوثنية، وقدمت للعالم المسيحي مجموعة من الآباء والعلماء.**

واستفاد مار مرقس من خدمته السابقة مع بطرس الرسـول ومع

بولس الرســـول الذي قال عنه: "أَنَّهُ نَافِعٌ لِي لِلْخِدْمَةِ" (٢تي٤: ١١). نجح مار مرقس في خدمته، ونال إكليل الخدمة وإكليل الشهادة.

✞ مار يوحنا الحبيب..

كان شابًا عندما بدأ خدمته مع السيد المسيح، كواحد من الاثني عشر. وأخذ لقب "التِّلْمِيذَ الَّذِي كَانَ يُحِبُّهُ" (يو١٩: ٢٦).

وقال عنه بولس الرســـول إنه أحد الأعمدة الثلاثة بين الرســـل (غلا٢: ٩). ونجح في خدمته في أورشـــليم في بدء القرن الأول للمسيحية. وخدم أيضًا في آسيا الصغري، في الكنائس السبع.

واستحق فيما بعد أن يظهر له السيد المسيح ويسلّمه رسائل للكنائس السبع التي في آسيا. واستحق أيضًا أن يرى السماء مفتوحة، ويبصر عرش الله والقوات السمائية في رؤياه المشهورة (رؤ٤). واستحق أن يعهد له السيد الرب بأمّه العذراء لتعيش في بيته. وقال له: "هُوَذَا أُمُّكَ" (يو١٩: ٢٧).

✞ القديس تيموثاوس...

تلميذ القديس بولس الرســـول، الذي كتب له القديس رســـالتين،

والـذي بقيَ معـه إلى وقـت نيـاحتـه، مع مرقس ولوقـا (٢تي٤: ١١). كان شـــابًا بدليل قول القديس بولس له: "لاَ يَسْـــتَهِنْ أَحَدٌ بِحَدَاثَتِكَ" (١تي٤: ١٢). ومع ذلك كان أسقفًا ناجحًا.

آباء رهبان كانوا شبابًا..

تادرس تلميذ الأنبا باخوميوس...

كانت كل أديرة القديس باخوميوس تحت إدارتـه. كان قويًا في الإدارة كان شـــابًا قويًا في رهبنته، وإدارته للأديرة كما كان قويًا في اتضـاعه، وعندما مرض الأنبا باخوميوس مرض الموت أراد الرهبان أن يجعلوا تادرس رئيسًـــا عليهم، وبعد إلحاحهم وافق، ولكن القديس باخوميوس شُـــفي فعزله من جميع المناطق وأخيرًا تحنن عليه وجعله خادمًا في أحد الأديرة يعمل خباز... فقابل أحد الرهبان وسـأله الراهب إلى أين أنت ذاهب فأخبره بأنه ذاهب إلى الدير الفلاني فبدأ الراهب ينصحه... وعمل خبازًا فكان بركة في وسط الخبازين.

القديس يوحنا القصـــير.. كان من الشـــباب الناجح حتى أن الإسقيط كله كان معلق بإصبعه.

✞ الأنبا ميصائيل السائح..

أصـغر السـواح سـنًا، دخل الرهبنة وعمره ١٢ سـنة، وسـلّم على رئيس الدير وانحنى، فسأله رئيس الدير: كيف عرفت أنني رئيس الدير؟ أجابه ميصائيل: "كنت أرى روحًا من الله على وجهك".

كان ناجحًا جدًا في نسكه إلى حد بعيد، بعد حوالي أربعة سنوات كان عمره حوالي ١٦-١٧ سنة أتمّ الله على يده معجزات.

✞ مكسيموس ودوماديوس..

كانا شـابين صـغيرين وكانا ناجحين جدًا في عبادتهم... ناجحين في تركهم للملك... فتركا العالم كله.

القديس الأنبا أنطونيوس...

عندما بدأ رهبنته كان شـابًا، إن كنا نتحدث عنه أنه عاش ١٠٥ سنة، رجل عجوز بلحية بيضاء. لكنه بدأ حياته كشاب، وكشاب نـاجح... نجح في كل الإغراءات التي قابلته... نجح في تركه للمال... كان نموذجًا للشاب الناجح.

✞🕊✞